

البداية والنهاية

القائه يده ومن الذلة لعبيد ا بن زياد وجعل ينشد ويقول مسلما نفسه ... وإن الأولى بالطف من آل هاشم ... تأسوا فسنوا للكرام التأسيا

وكان عبد الملك قد أشار عليه بعض أصحابه أن يقيم بالشام وأن يبعث إلى مصعب جيشا فأبى وقال لعلى إن بعثت رجلا شجاعا كان لا رأى له ومن له رأى ولا شجاعة له وإنى أجد من نفسى بصيرا بالحرب وشجاعة وإن مصعبا فى بيت شجاعة أبوه أشجع قرشى وأخوه لا تجهل شجاعته وهو شجاع ومعه من يخالفه ولا علم له بالحرب وهو يحب الدعة والصفح ومعنى من ينصح لى ويوافقنى على ما أريد فسار بنفسه فلما تقارب الجيشان بعث عبد الملك إلى أمراء مصعب يدعوهم إلى نفسه ويعددهم الولايات فجاء ابراهيم بن الأشرى إلى مصعب فألقى إليه كتابا مختوما وقال هذا جاءنى من عبد الملك ففتحه فاذا هو يدعوه إلى الاتيان اليه وله نياية العراق وقال لمصعب أيها الأمير إنه لم يبق احد من أمرائك إلا وقد جاءه كتاب مثل هذا فان أطعنى ضربت أعناقهم فقال له مصعب إنى لو فعلت ذلك لم ينصنا عشائهم بعدهم فقال فابعثهم إلى أبيض كسرى فاسجنهم فيه فان كانت لك النصرة ضربت أعناقهم وإن كانت عليك خرجوا بعد ذلك فقال له يا أبا النعمان إنى لفى شغل عن هذا ثم قال مصعب رحم ا أبا بحر يعنى الأحنف أن كان ليحذرنى غدر أهل العراق وكأنه كان ينظر إلى ما نحن فيه الآن ثم تواجه الجيشان بدير الجائلق من مسكن فحمل ابراهيم بن الأشرى وهو أمير المقدمة العراقية لجيش مصعب على محمد بن مروان وهو أمير مقدمة الشام فأزالهم عن موضعهم فأردفه عبد الملك بعبد ا بن يزيد بن معاوية فحملوا على ابن الأشرى ومن معه فطحنوهم وقتل ابن الأشرى وعفا عنه وقتل معه جماعة من الأمراء وكان عتاب بن ورقاء على خيل مصعب فهرب أيضا ولجأ إلى عبد الملك بن مروان وجعل مصعب بن الزبير وهو واقف فى القلب ينهض أصحاب الرايات ويحث الشجعان والأبطال أن يتقدموا إلى أمام القوم فلا يتحرك أحد فجعل يقول يا ابراهيم ولا ابراهيم لى اليوم وتفاقم الأمر واشتد القتال وتخاذلت الرجال وضاق الحال وكثر النزال قال المدائنى أرسل عبد الملك أخاه إلى مصعب يعطيه الأمان فأبى وقال إن مثلى لا ينصرف عن هذا الموضع إلا غالبا أو مغلوبا قالوا فنادى محمد بن مروان عيسى بن مصعب فقال يا ابن أخى لا تقتل نفسك لك الأمان فقال له مصعب قد أمنك عمك فامض إليه فقال لا يتحدث نساء قريش أنى أسلمتك للقتل فقال له يا بنى فاركب خيل السبق فالحق بعمك فأخبره بما صنع أهل العراق فانى مقتول ههنا فقال وا ا إنى لا أخبر أحدا أبدا ولا أخبر نساء قريش بمصرعك ولا أقتل إلا معك ولكن إن شئت ركبت خيلك وسرنا إلى البصرة فانهم على الجماعة فقال وا ا لا يتحدث قريش

